القيم الجمالية وبناء الدولة في ضوء فلسفة جون ديوي دراسة في سيسيولوجيا النقد والفن- تحليل واقع الدولة العراقية بعد عام 2003

م. لقاء عبد الهادي مسير
كلية التربية للبنات /جامعة القادسية

الملخص

هدف البحث الحالي الى التعرف على القيم الجمالية وبناء الدولة في ضوء فلسفة جون ديوي في المجتمع العراقي ، والتعرف على اهم الافكار الفلسفية التي قامت عليها فلسفة ديوي التي اتضحت في دور التربية والاخلاق الجمالية في تنمية الذوق الفني والاحساس وتنمية السلوك الاخلاقي والاجتماعي ، بعد ان شكلت فلسفة الجمال لديوي اهتمام واسع في الدراسات الاجتماعية والفلسفية لان الابداع الفني ظاهرة اجتماعية للثقافة والحضارة البشرية . لقد برزت القيم الجمالية اليوم بصورتها السلبية هي اللامبالاة ، او عدم الاكتراث للقيم لان الفكر وحده لا يصنع انسان عظيم ، ولا العاطفة تصنعه ، والانسان الحق فعلاً هو من يحقق التوازن الجميل بين القول والفعل ، والفكر والوجدان ، القلب والعقل الذي يشيع نبض الحياة في التأملات ، فالقيم الجمالية ترسم خط جديد بالحياة وتجعل القواعد عامة مطلقة تتخطى الزمان والمكان وتحرره من الظروف لترسم جمال في كل شيء ، وتمثل دراسة القيم الجمالية اهمية خاصة لأنها تشكل قوة تربوية كبيرة في جميع النواحي ، لان الفرد يشعر بالحاجة الى الجمال والأبداع ورغبته في رؤية الجمال والطبيعة الخضراء ، وسماع الموسيقى ، والاغاني والاناشيد ، والفن الذي يؤثر على الانسان بعمق، وموضوع القيم الجمالية مازال من اهم الموضوعات التي تناولها الفلاسفة منذ اقدم العصور وخاصة دراسة في الخبرة الجمالية في ضوء فلسفة جون ديوي واختلافاتها وانعكاساتها والتحولات الاجتماعية التي مر بها المجتمع العراقي بعد عام 2003.

الكلمات المفتاحية : القيم الجمالية ، فلسفة جون ديوي ، المجتمع العراقي

Aesthetic Values And State Building In The Light Of John Dewey's Philosophy A Study In The Sociology Of Criticism And Art Analyzing The Reality Of The Iraqi State After 2003

L. Liqaa Abdul Hadi Mesir
College of Education for Girls / Al-Qadisiyah University

Abstract

The aim of the current research is to identify aesthetic values and state building in the light of John Dewey's philosophy in Iraqi society, and to identify the most important philosophical ideas on which Dewey's philosophy was based, which became clear in the role of education and aesthetic ethics in developing artistic taste and feeling and developing moral and social behavior, after it formed a philosophy Beauty Dewey has a broad interest in social and philosophical studies because artistic creativity is a social phenomenon of human culture and civilization.,Aesthetic values have emerged today in their negative form, which is indifference, or indifference to values, because thought alone does not make a great person, nor does emotion make him, and the truly right person is the one who achieves the beautiful balance between saying and doing, thought and conscience, the heart and mind that spreads the pulse of life in contemplations, so values Aestheticism draws a new line in life and makes rules general and absolute that transcends time and space and liberates it from circumstances to draw beauty in everything. The study of aesthetic values is of particular

importance because it constitutes a great educational force in all respects, because the individual feels the need for beauty and creativity and his desire to see beauty and green nature. Hearing music, songs and chants, and art that affects man deeply, and the topic of aesthetic values is still one of the most important topics that philosophers have dealt with since ancient times, especially a study in aesthetic experience in the light of John Dewey's philosophy and its differences and reflections and the social transformations that Iraqi society went through after 2003.

Keywords: aesthetic values, John Dewey's philosophy, Iraqi society

المبحث الاول

اولاً-مشكلة البحث

ان حاجة الانسان الماسة الى تنمية الاحساس الجمالي والتذوق الفني فضلاً عن تعليمه كيف يكتسب خبرة في مجال الحكم الجمالي وذلك لأنه ضروري لحياة الانسان وبيئته على اعتبار ان الخبرة الجمالية هي دائما خبرة بالطبيعة كما يقول ديوي والتي تجعل الانسان ذو حس جمالي رفيع الى جانب ما يقوم به من اعمال ، فيصبح مرهف الاحساس رقيق المشاعر .

لكل مجتمع في عصر معين قيمة خاصة نابعة من معتقدات ومثلُ وافكار ونظم تجاه الاشياء ، ثم يتحدد بمعايير تقدير موضوع القيم الجمالية في المجتمع ، وما يحمله من معانٍ وافكار لها القدرة الفعالة في التأثير الايجابي على سلوك الانسان داخل المجتمع العراقي الذي يشكل جزء من مجموع افراده ، القيم الجمالية ظاهرة انسانية ارتبطت بالتعبير الانساني وتجسد هذا الجمال في فنون الحضارات القديمة ، التي كانت على شكل تعبيرات وطقوس مرتبطة بمفهوم الثقافة ، فالجمال في جوهره يؤدي الى الاحساس بلذة الابتهاج والشعور بحالة من الرضا عن الحياة .

ويحاول هذا البحث القاء الضوء على مفهوم القيم الجمالية في فلسفة جون ديوي باعتباره من ابرز الفلاسفة والمربين في العصر الحديث الذي اعطوا لمفهوم القيمة او الخبرة الجمالية مكانة رئيسية في فلسفاتهم املاً في تحسين الواقع الذي نعيشه ، والذي طغت فيه المادة وسيطرت على جوانب حياتنا ، ويسعى البحث الحالي الى الاجابة عن التساؤلات الاتية :

-ما مفهوم القيم الجمالية في فلسفة جون ديوي

-ما الاستفادة من اراء وافكار فلسفة جون ديوي فيما يتصل بالقيم الجمالية في الفكر الاجتماعي

ثانياً-اهداف البحث

1-التعرف على مفهوم القيم الجمالية في فلسفة جون ديوي

2-الكشف عن القيم الجمالية في فلسفة جون ديوي وانعكاساتها على الدولة العراقية

3-دراسة الخبرة الجمالية في ضوء فلسفة جون ديوي واختلافاتها وانعكاساتها والتحولات الاجتماعية التي مر بها المجتمع العراقي بعد عام 2003.

ثالثاً-اهمية البحث

تبرز اهمية الموضوع من خلال تحديد فلسفة جون ديوي ، وما تحمله من افكار ومعاني بحاجة الى التعرف عليها اكثر ، من خلال ألقاء الضوء على فلسفة الجمال ، واهمية ابعاد شخصية الانسان ، والبعد الجمالي بهدف تنمية الاعمال الفنية ومظاهر الجمال في الطبيعة وفي مظاهر السلوك الاجتماعي وما اصاب المجتمع العراقي من ازمات وتغييرات اجتماعية بعد عام 2003

، وتحليلها في فلسفة جون ديوي لنقدها الواقع الحالي ، ورسم السياسة التربوية والاجتماعية في مجال الدراسات والبحوث الفلسفية .

رابعاً – مفاهيم البحث

اولاً - مفهوم القيم الجمالية : عالجت فلسفة ديوي مواضيع عديدة، فهي فلسفة للحياة تؤمن بالتغيير، وتهدف إلى التطور والنمو، وتتخذ من الخبرة منهجاً لها في مواجهة الواقع ومعالجة مشكلاته، كما تتخذ من

التفكير العلمي أداتها المنطقية من أجل الوصول إلى الحقيقة الموضوعية ، وان مفهوم الخبرة الجمالية يحاط بكثير من الغموض في أذهان الكثيرين من الفلاسفة على الرغم من شيوع فلسفة « جون ديوي » واستخدامه وتأثيره في العمل التربوي، ولعل المعاصرين استخدموا هذ المفهوم في جعل الخبرة أساساً للتربية ومعياراً للحرية ، وأن الخبرة لا تكتسب ولا تنتقل من مكان إلى مكان، وهي ليست مرادفة للمعرفة أو المهارات، وإنما الخبرة تعني موقفاً من المواقف يعيشه الفرد مع آخرين، فيتأثر به ويؤثر فيه، وهو يتعلم نتائج هذا الموقف، حيث تصبح هذه النتائج جزءاً من(سلوكه سواء أكانت معلومات أو مهارات أو اتجاهات)[1] ، وإذا كانت الخبرة الجمالية ليست إلاّ نوعاً واحداً من بين الانواع العامة من الخبرات ، في أعلى درجات رقيها واتساقها ، ويؤكد فلاسفة الجمال أن الخبرة الجمالية عامل إيجابي وفعال، لأن الشخص الذي يستقبل الجمال ويقدره يستطيع أن يخرج من ذاته ليقدر جمال الطبيعة ويستمتع به، وهذه القدرة على الاستجابة لجمال الطبيعة وجمال الفن بصفة عامة ، فالتربية الجمالية تستطيع أن تنميها في الفرد، وذلك بأن تتيح للأفراد الظروف التي يمكنهم فيها أن يستمتعوا بالجمال في الطبيعة، وأن تشجع أولئك الذين يشعرون بهذا الجمال أن يبتهجوا به وأن يعبروا عنه، فما يعبر عنه بعضهم ، ويرغب الآخرون في رؤيته والاستمتاع به [2].

ثانياً-القيم الجمالية : تعتبر القيم عنصراً رئيساً من عناصر الثقافة الاجتماعية وهي وسيلة للتعبير، بل هي وسيلة لإشباع أرقى حاجات الإنسان المتمثّل في الذّوق والفن والوجدان، فهي تنمية للنفوس والعقول، ونتفق مع رجال التربية في قولهم إنّ القيم تدور مع المتغيّرات والتطوّرات الحادثة في بنية المجتمع، حيث تتدخل في تنظيماته وميكانيزماته، أي أنها تنطلق في مسار حركة الزمان الاجتماعي، فتساهم في النمو الحضاري والرقي والثراء والتقدم في المجتمع، وليس في قيمه الجمالية فقط، بل في بنية المجتمع بأبعاده وأنساقه المتباينة ، وان القيم الجمالية ذات علاقة موجبة بآداب السلوك وأنماطه، حيث يتم تشرب هذه القيم عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية، بشأن الأدب والعلم والدين والفلسفة ، ولا تقتصر على عمر بعينه، لكنها تشمل الزمن المعاش ، والقيم الجمالية جانب مهم من القيم السلوكية، لان الفرد يكتسبها عن طريق أساليب التربية كما يكتسب قواعد الضبط الاجتماعي، ومبادئ الأخلاق والدين، ومعايير السلوك ومفهومات قيم المجتمع [3]، وبفهم القيم السلوكية يتم الالتزام بآداب السلوك والتطبُّع بها والتكيُّف معها، والتفاعل السوي بموجب معطياتها ، ويتم التوافق مع معطيات القيم السلوكية حسبما تكون عليه درجة القبول الاجتماعي، واشارت العديد من الدراسات الاجتماعية بأنّ القيم السلوكية تدخل في دائرتيْ (المرغوب فيه) و(المرغوب عنه) حسب درجة القبول الاجتماعي (مقبول - مرفوض)، وهكذا القيم الجمالية التي تدور حول ما هو (جميل) وما هو (قبيح) ، كما أوضحت بحوث علم النفس (التربوي - التكويني - الإبداع)، [4] ، تساعد القيم الجمالية على تأكيد الذات وتهذيب السلوك وتنمية القدرات وشحذ الذكاء الاجتماعي وتجسيد أنماط السلوك المرغوب فيه، وبناء الشخصية الفاعلية، وهذه كلها عناصر الصحة النفسية وهي أساس الشخصية السوية، وسبيل تأهيل المواطن الصالح ، في حين يؤكد خبراء التربية ان التربية ليست مجرّد إعداد للحياة بل هي الحياة نفسها، التي تتضمّن عمليات تطوير التعليم التربية مهما تعدّدت مداخلها ونظمها وسياساتها وأهدافها ومناهجها منهج التربية الفنية، والتي تهتم بتزويد الطالب بالقيم الجمالية كأساس للقيم السلوكية، ونرى ان مادة التربية الفنية مادة أساسية تضم درجتها ضمن التقويم العام للطالب وأن تراعى عند الالتحاق بالجامعات، ما دام عن طريقها يمكن بناء الشخصية المتوازنة نفسياً واجتماعياً وعلمياً وتأهيلاً لإنسان منتج دينامي يسعى لمعرفة واستنباط سبل وأساليب التربية القويمة، التي تتساير مع الواقع المعاصر - في عالم متغيّر - شديد التعقيد، في فضاء المعرفة والعلوم والاختراعات التكنولوجية والابتكارات الإلكترونية والإبداعات الفنية، وهذا هو مكمن سلوك التعلُّم وازدياد الخبرة، ووظيفة ذلك كما يحددها علماء التربية، هي تحقيق التوافق العام مع الذات ومع البيئة الحاضنة ومع المحيط، وهي سبيل للوقاية من تسرُّب الملل والقلق والضيق والتوتُّر إلى النفس[5].

المبحث الثاني ـ القيم الجمالية والاجتماعية في المجتمع العراقي

ان القيمة تنشأ عن ممارسة فردية يستحسنها المجتمع فتتحول مع مرور الزمن الى قيمة ثقافية، ومع إن القيمة مُعطى اجتماعي يعكس حكم الفرد عليها ما توافقت عليه الجماعة، إلا أن هناك قيماً نشأت فردية ثم اصبحت جماعية وتحولت الى ثقافة، وقد مرت دول العالم المتقدم بهذا التحول عندما انتقلت مجتمعاتها من مرحلة الاقطاع وقيمه الى مرحلة الرأسمالية والليبرالية وقيمها الثقافية ، وتتسم القيم السائدة في المجتمع العراقي بأنها قيم جماعية، اذ تشكل الجماعة النواة والوحدة الاجتماعية وليس الفرد، والانتماء للجماعة هي القيمة السائدة في المجتمع، وينظر الى الفرد بوصفه عضواً في جماعة وليس الى وجوده كفرد مستقل، وهو جزء من كل، والكل هو الجماعة التي يلجأ اليها ويعتمد على اسنادها عندما يحتاج اليها، والأقرب الى الفرد هم الأهل والعشيرة، ويكمن هنا مصدر التأكيد على قيم الأبوة، والاخوة، والقرابة في النسب، والعصبية، والجيرة، والمناطقية، ولهذه القيم انعكاساتها على عملية بناء الدولة العصرية الديمقراطية التي تقوم على رابطة المواطنة[6] ، ومن النتائج السلبية لهذه القيم تبعية الفرد لمشيئة الأهل، ومن لهم سلطة اجتماعية عليه مما يرسخ ثقافة الخضوع ويتراجع الإحساس بالاستقلال الفردي والحرية، ويغيب عمل الفريق في النشاطات الخاصة والعامة، وتعيق حالة انعدام روح عمل الفريق خارج نطاق الأسرة والجماعة المحلية العمل في الاحزاب والحركات السياسية ومنظمات المجتمع المدني ، وللقيم الجماعية في المجتمع العراقي جوانب ايجابية ويتمثل ذلك في التأكيد على احترام الكبير وحماية افراد العائلة والتعاون بينهم، إلا أن هناك جوانب سلبية في النظام العائلي تتمثل في الخلاف والنبذ الذي يتغلب على طابع التعاون والوئام، اذ تسود الغيرة والحسد العلاقات بين أفراد الاسرة ويسري نفس القول على علاقات افراد المجتمع مع بعضهم، ويقوم الآباء دون وعي منهم بتنمية روح الغيرة في نفوس الأبناء عندما يميزون بينهم في التعامل فيثير ذلك نقمة غير المقربين ويشعرهم بالنقص ويصبح ذلك جزءاً من شخصية الفرد ويؤثر في سلوكه تجاه الآخرين، ويرى الاطفال في صغرهم كيف يجري اغتياب الاقرباء والاصدقاء وكيف يظهر الانسان خلاف ما يضمر في سلوك الوالدين والإخوة الاكبر سناً، ويتعلمون كيف يُقدمون المصلحة الخاصة ويتشبعون بروح الغلبة والمسبب والمنشأ لهذا السلوك هو النظام العائلي والقبلي والطائفي[7] ، وتعبر العلاقات والسلوك على الصعيد الاجتماعي عن الشخصية المنبثقة من الصلة والترابط بين الاسرة وبين المجتمع ويظهر تأثير هذه القيم الاجتماعية على عملية بناء الدولة في سلوك الحاكم والمحكومين وهي تكرس ثقافة الخضوع وتغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة وتعرقل العمل بروح الفريق، وتعيق الانضمام الى الاحزاب والجمعيات والجماعات الاجتماعية الاخرى وتضعف المشاركة وهي من مستلزمات قيم الديمقراطية، وتغذي هذه القيم التسلط وانعدام الشفافية وتدفع الى تبني اسلوب القمع، وترسخ الانتماءات والولاءات الفرعية كما يصوت الناخب بناء على اعتبارات انتمائه الفرعي ويتجاوز مسألة الجدارة والكفاءة والصالح العام[8] .

إذ تتسم الثقافة التقليدية العراقية بسيادة القيم العمودية أي القيم التي تقوم على روابط القرابة والدين والطائفة والمنطقة والعرق، وعلى وفق نظام تراتبي بين افراد الجماعات، وتفتقر هذه الثقافة الى القيم الأفقية التي يتم بموجبها التفاعل مع الافراد والجماعات الاخرى داخل المجتمع على اساس المساواة، وتحكم التراتبية نظام الاسرة ويتمايز على اساس الجنس والعمر، وتسود القيم السلطوية في البيت، والمدرسة، وأماكن العمل، والاحزاب، والجمعيات والنظام السياسي، وتنعدم الحرية في بيئة تحكمها هذه القيم ويقتصر وجودها على شكل حق نظري مذكور في الدستور، او يجري تداوله عند الحديث عن النظام السياسي، او الانتخابات ، وبالتالي إن نمط التنشئة الاجتماعية الذي تسوده القيم العمودية والعصبية وتشيع فيه الازدواجية في السلوك والفكر لا يخلق البيئة المؤاتية لبناء الثقة والحوار الحقيقي بين الافراد والجماعات، وبين المجتمع والنظام السياسي، اذ يتطلب الحوار توافر الثقة المتبادلة وحرية الفكر وقبول الآخر وتشكل هذه العناصر الاساس للتعامل الافقي بين مكونات المجتمع التعددي، لذلك تعيق القيم التقليدية السائدة في الثقافة العراقية تأسيس المجتمع الديمقراطي لأنها تفضي الى تعزيز التمايزات وتدعيم عدم المساواة بين الافراد [9] ، وتعد القيم الجمالية من أهم الموجهات التي تُعنى بتوجيه السلوك الإنساني نحو البناء الأخلاقي والتذوق الفني، والتّعاون الناجح بين الأسرة والمدرسة يسهم في تنميةِ هذه القيم لدى

الإنسان ويضعه في وسطٍ جمالي؛ خاصة في مراحلهِ الدراسيةِ المبكرة ليكتسب من خلالها نمطاً قيمياً يجعله يسلك السلوك السوي مع نفسه ومع مجتمعه .وان التربية الجمالية تقوم بتنميةِ الشخصية الإنسانية على الإحساس بالجمال الذي يقود الهمم إلى التدبر في ملكوتِ الله سبحانه وتعالى؛ فيشعر الفرد بالجمال، وحين يؤثر الجمال في المسلم داخلياً، يجعل سلوكه قائماً على أساس من الإحساس الرقيق نتيجة ذلك التأثير ، ويرى الفلاسفة أن الدولة تقوم بصناعة الأمة من خلال طريقين إيديولوجيين :

الطريق الأول : العنف الثقافي والذي يشمل الآداب والفنون والنشيد الوطني، والإعلام والأزياء، حيث تقوم الدولة بصهر الناس المختلفين في أتونٍ مجتمعي واحد.

الطريق الثاني : العنف العاري والذي يشمل السجن ، والجيشَ والمخابرات والجوانب العسكرية للسيطرة على المجتمع وترويض الخارجين على القانون ، و ان مشكلة المجتمع العراقي طوال تاريخه ، أهملَ العنصر الأول الثقافة وركز على العنصر الثاني وهو عنصر لم ينتج دولة ، وعن هيمنة الميليشيات والعشائر وسلاحها المنفلت، ونرى أن بناء الدولة وفرض القانون، لن يتحقق إلا بإنهاء وجود القوى المسلحة الموازية سواءً أكانت عشائرية أم دينية، وأن بقاء هذه المؤسسات التقليدية وهيمنتها على المجتمع المدني أو تراجعها رهين بوجود إرادة سياسية وطنية لا تفكر بمجاملة العشيرة من أجل كسب أصواتها[10].

المبحث الثالث - أهميةِ القيم الجماليـة وتحليل الخبرة الجمالية عند جون ديوي

أن الجمال يعد قيمة روحية كبيرة، حيث أن الحياة من دونِ الإحساسِ بالجمالِ تؤدي إلى الشعورِ بالملل ، وتسهم القيم الجمالية في تشكيلِ الضمير والوازع الداخلي الذي يكون ضابطاً للسلوك الإنساني، وكلما ازداد وعي الفرد للقيم الجمالية بدلالاتها الحسية والمعنوية ؛ استقام سلوكه وتعالت إنسانيته ، تعد القيم الجمالية وسيلة المجتمع لإحداثِ الترابط بين أنظمته المختلفة فهي التي توجه أنماط السلوك العام للحفاظ على البيئةِ الاجتماعية

اما القيمة الجمالية هي أحد مكونات الخبرة الجمالية في حياةِ الفرد المثقف والمتحضر، وتظهر اهمية القيم الجمالية من خلالِ دورها الحضاري الضروري في زرعِ السلام على هذهِ الأرض ومساعدة الإنسان على نبذِ العنف، حيث يؤدي انعدامها إلى غياب حجر أساس من زاوية البناء الحضاري وإلى تفشي العداء والهمجية بين البشر ، ومصادر القيم الجمالية لا تأتي القيم الجمالية من الفراغ، حيث تنبع من مصادر عدة أهمها (الدين _أساليب التنشئة الاجتماعية- الخبرات الإنسانية-الجماعات التي ينتمي إليها الفرد– التراث) [10].

إن القيمة ، او الخبرة أو التجربة الجمالية ؛ لا تختلف عن أية خبرة من الخبرات اليومية إلا بكونها أكثر نظاماً و أدق تركيباً من غيرها ، لذلك عادة ما يتلخص معنى التجربة الجمالية في قدرتها على التنسيق و التنظيم ، بين مختلف الدوافع و المتطلبات الإنسانية وفي النهاية يمكنه ذلك من بلوغ لذة و توازن ومتعة ، و يعتبر كتاب ديوي - الفن خبرة - كتطبيق لفلسفة الخبرة على مجال الفن و علم الجمال ، لأنّ النشاط البشري في نظره ؛ لا يمكنه أن ينفصل و يتجرد من الواقع ، والدليل على ذلك ما نلمسه في منشأ الفنون و تطوراتها ، فالفن البدائي جل مواضيعه كانت تتمحور حول اهتمامات الناس المختلفة الحياة اليومية إذ يعتبر هذا أهم سبب دفع ديوي الى رفض نتيجة خلاصتها ، وأن تكون التجربة الجمالية داخل كيان فرد منعزل عن الجماعة، هي تفاعل الفرد مع بيئته هو الذي يسمح له بالتعبير عن ذاته بمختلف الوسائل ، وهذا التفاعل يحدث ما يسميه ديوي بالخبرة الجمالية ، غير أن هناك من رفض الحديث عن الخبرة الجمالية ، نظراً لتداخل المفاهيم والدراسات فيها من جهة و صعوبة ضبط مفهوم الخبرة من جهة أخرى ، إذا أصبغنا عليه صفة الجمالية وعن الخبرة الجمالية يقول ديوي في كتابه - الفن خبرة - أنها خبرة كونها جمالية فهي تجربة حقيقية ترفض الحركة العمياء و يصفها أيضا أنها خبرة بسيطة تربط الكائن ببيئته في ضرب من المقاومة من أجل الحياة[12]. .

إن مفهوم ديوي للظاهرة الجمالية وثيق الصلة بالخبرة و لا يمكن فصله عن فلسفته العامة التي تدور حول مفهوم الخبرة، وأن الخبرة الجمالية هي ربط الفن بالخبرة التي تنزه الفن عن كل نزعة متعالية تأملية ، جاعلة منه ظاهرة بشرية عامة تصاحب كل خبراتنا اليومية ، وأنه لا يوجد حد فاصل بين التجربة الجمالية و الحياة اليومية العملية ، لأن أي تصور للفن الجميل حسب ديوي ينطلق من العلاقة بين الفن والخبرة العادية لذلك يجب إبراز العوامل التي تساعد على تحويل ضروب النشاط الإنساني اليومي بإعطائها صبغة فنية ، يعد ذلك أهم الدوافع للثورة على النزعة الأرستقراطية ، التي تسعى أن تجعل من الفن ميزة خاصة بذوي الأمزجة و الأذواق الراقية بمحاولة فصل الفن عن الخبرة العملية و نذكر بالأخص أفلاطون بمثالتيه او ما يعرف اليوم بنزعة (الفن للفن) ويعد موقف ديوي محاولة كبرى للاقتراب من الواقع حيث ربط الفن بالتجربة أو بالخبرات ، واضعاً عليه صفة نفعية عملية، صابغاً على الخبرات الإنسانية بصفة عامة طابعاً جمالياً و من ثم ليس هناك حد فاصل بين الخبرة اليومية العملية و الخبرة الجمالية [13].

المبحث الرابع

اولاً- تحليل ديوي لعلاقة الظاهرة الفنية والظاهرة الجمالية

لقد غلب التمييز بين الظاهرة الفنية و الظاهرة الجمالية باعتبار أنّ الأولى تشير إلى عملية إنتاج صناعة وإبداع ، بيد أن الثانية تشير إلى عملية إدراك و تذوّق و تقدير للمنتجات الفنية ، فالظاهرة الفنية إذن ؛ تعبر عن وجهة نظر المصنع أو المنتج ، أما الظاهرة الجمالية فهي تعبير عن أذواق المستهلك ، وأن هناك علاقة بين الصانع و المستهلك فكلاهما يؤثر في الأخر، فالأول بالنشاط الفعلي و الثاني بالنشاط الذوقي و الحكم الجمالي على تلك المنتجات، فقد لا يكون هناك حاجة للتفريق بين الظاهرة الجمالية و الظاهرة الفنية إلى حد الفصل بينهما ، لكي يكون العمل فنيا فلابد له أن يكون جمالياً ، وفي تحليلنا لتلك الظاهرتين نلاحظ عودة ديوي إلى فكرة مركزية تتمثل في الخبرة حيث يقول أن لهذه الخبرة طابعا جماليا و إلا لما كان بالإمكان تنظيمها على تلك الصورة الجمالية [14]، والواقع أن جمال الأداء أو الفعل لا يمكن الحكم عليه إلا بالرجوع إلى أولئك الذين يدركون و يتذوقن النتاج الفني ، و إذا أريد للعمل أن يكون فنيا؛ فلابد له أن يكون جماليا ، فالإنسان ينحت و يصور و لكن عمله لا يعدّ ذو طابع فني ، إلا إذا تبعه حكماً ، والخبرة الجمالية عند جون ديوي في مظهرها البدائي هي الايقاع الناشئ عن فقدان التكامل مع البيئة ثم الاسترجاع والاتحاد بها ، ويرى ان دور العقل له افعال في انتاج الاعمال الفنية .وذهب ديوي فيما يخص علاقة التجربة الجمالية بالخبرة العادية؛ إلى أن الأولى هي تطور طبيعي للدوافع و الحاجات الإنسانية التي لا تتحقق إلا بالخبرة العادية ، نفهم من ذلك أن الخبرة الجمالية هي خلاصة ذلك التفاعل مع البيئة التي نعيش فيها و استجابة طبيعية لمظاهرها ككل و من ثم نفهم أن العنصر الجميل ليس دخيل على التجربة الجمالية[15]، بل هو سمو و تطور لتلك الصفات العادية التي تتميز بها كل خبرة سوية ويتضح من ذلك أن الخبرة باختلافها حسب ديوي؛ تتسم بالطابع الجمالي الفني ، فالخبرة إذن تمثل الفن نفسه في بذوره الأولى ، لأن أي تصور جميل للفن في نظره لا ينطلق من العلاقة بين الفن و الخبرة العادية فيجب السعي إلى إبراز العوامل المساعدة على تحويل ضروب النشاط البشري من صورته الخام و إعطاءه صفة الفنية[16]. وان موقف جون ديوي من المسألة الفنية هو ان الانفعال باعتباره انفعال الإنسان إزاء الطبيعة و المحيط الذي يعيش فيه ، ودوره المهم في إنشاء الفن الجمالي ، وأهميته تكمن في أنه يغذي و يقوي العمل و يحمله إلى تحقيق الغايات المنشودة، فالفرق بين الفنان و الرجل العادي لا يتمثل في كون الأوّل أكثر انفعالاً و أقدر على وصف انفعاله بمجموعة من الألفاظ و الرموز؛ و أنما الفارق بينهما أن الفنان يصنع من الفعل الذي يتولد من الانفعال صورة متناسقة مبنية على الاختيار والاقتناء[17] ، فالرسام مثلاً وهو بصدد تجسيد اللوحة الفنية يختار اللحظات الحساسة التي تزيد الموضوع نوعاً من التجريد في اختياره للألوان التي تبرز حالته الوجدانية، ويقول: ديوي في إبرازه لأهمية الانفعال ، أنه بدون انفعال قد تكون هناك مهارة لكن لن يكون هناك فن، في المقابل، الانفعال المفرط لا ينتج فناً، لأن الشخص المثقل بالانفعال عاجز على التعبير ، عليه بسبب فقدان توازنه ومن الصعب تحكم الفنان في الريشة أو في قلمه بالنسبة للروائي[18] ، نفهم من موقف ديوي أن الإنتاج الفني ينشأ بانفعال الإنسان مع بيئته لكن انفعاله متوازن دون إفراط أو تفريط -الفن

والتقدير الجمالي ، ويرى ديوي أن هناك أسباب تاريخية عملت على ظهور التصور الانعزالي للفن ، وعلى هذا الأساس ،فإن النظرية التي تعزل الفن و التقدير الجمالي عن ضروب الخبرات الأخرى، لم تنشأ من طبيعة الظاهرة الفنية ، بل جاءت نتيجة ظروف خارجية أدت إلى عزل الخبرة الجمالية عن الحياة اليومية ، و لتفادي العزل؛ يجب إعادة ربط الصلة بالعودة إلى التجارب الماضية التي ساهمت في بناء و قيام الحضارات ، لأن الفن في حد ذاته نتاج الواقع الاجتماعي المعقد و تاريخ الحضارات يبين أن الفن كان الوسيلة للتكيّف مع العالم الخارجي قبل أن يصبح غاية في ذاته[19]

ثانياً ـ دور التجربة الجمالية في تطوير المجتمع و الحضارة

إن الفن حسب ديوي وثيق الصلة بالحضارة ، بدليل أن شتى خبرات المجتمع العملية ، الاجتماعية و التربوية قد اصطبغت في كل مكان وزمان بصبغة جمالية واضحة ، فالناظر إلى ما خلفته الحضارات القديمة من آثار ومعالم كالأهرامات أغلب هذه الآثار تتضمن أو تحمل صفة جمالية مما يجعل الفن لصيق بالضرورة العملية ، أي الحاجة الاجتماعية منذ القديم -عاداتها أنظمتها و صناعاتها- [20] حيث يقول ديوي :" كلها تتضمن مسحة جمالية مما يجعل من الفن غير منزه عن المصلحة العملية والنشاط الجمالي اندمج ضمن اهتمامات الحياة الاجتماعية و الحضارية ، ويضيف فيلسوف الخبرة؛ أن الفن كان دائماً ظاهرة مصاحبة للعبادات والطقوس الدينية لذلك نجد لكل حضارة فنونها الخاصة ، نفهم من ذلك أن الحضارة لصيقة بالفن وتابعة لها ، فلا حضارة دون فن حسب ديوي ، ويظهر ذلك من قوله " أن الخبرة الجمالية مظهر لحياة كل حضارة و سجل لها و لسان ناطق يخلد ذاكراها و يحفظ أمجادها "[21] ، والواقع أن كل رحلة يرجع فيها علماء الأنثروبولوجيا إلى الماضي ، تكشف لنا عن وجود علاقة وثيقة بين نشأة الفنون و الطقوس الدينية البدائية ، و لم تكن الأساطير مجرّد محاولة السيطرة على الطبيعة وإنما كانت ذات دلالة أعمق ، فشكلت خبرات جمالية أثارت إحساسه وانفعاله و يضرب لنا ديوي مثالاً عن النحت والموسيقى و التصوير في العصور الوسطى التي لم تكن مجرد خادم للدين بل كانت تعبير عميق عن شعور اللاتينيين تجلى في الأناشيد التي تتضمن في ذاتها مئات الصور الحسية التي تعبر عن الشعور الروحي الواحد [22] ، وينظر ديوي إلى التربية على أنها عملية تجديد بناء الخبرة، خبرة الفرد وخبرة المجتمع، والواقع أن هذه النظرة تتمشى مع نظرية النمو الطبيعي والاجتماعي، فالتربية حسب هذه النظرية عبارة عن سلسلة خبرات تؤدي كل خبرة إلى أخرى، فتتسع ارتباطات واتصالات الفرد بالمحيط وتنمو ثروة المعاني عند الفرد معاني الأشياء والظواهر الطبيعية التي يختبرها الإنسان وبذلك يكتسب الفرد سيطرة وقدرة في توجيه الأمور فيكيف ما حوله وفقاً لاحتياجاته، كما أنه هو نفسه يتكيف وفق ما يساعد الفرد على الإكثار من الاشتراك مع غيره في عمليات الحكم والاختيار، فالمقدرة على إنتاج الفن والاستمتاع به والاستعداد للأخذ بضروب التسلية[23]، والاستفادة من وقت الفراغ على خير وجه، حيث تُعد عناصر المواطنة أعظم أهمية من العناصر التي تتبادر إلى الذهن عادة عند ذكر المواطنة، وبالتالي فإن الكفاية الاجتماعية ليست أقل من جعل العقل اجتماعياً[20]. حيث افتقر المجتمع العراقي الى الانشطة الثقافية وخاصة دور السينما والمسرح والمعارض التشكيلة والفنية واستبدل بالفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي مما ادى الى تراكم وهيمنة ثقافة العنف [24].

المبحث الخامس ـ الاستنتاجات والتوصيات

1- يتأثر مجتمعنا بصورة واعية أو شبه واعية أو غير واعية بالتيارات والموجات العالمية المتلاحقة في تغيراتها وأحداثها ومنجزاتها، وبخاصة ما يترتب على تطبيقات العلم والتكنولوجيا في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان من العسير التوقع الدقيق بمحاولة تلك التغيرات العالمية وآثارها المحلية، يتحتم على نظام تعليم المستقبل ألا يقتصر في تكوينه الذهني أو برمجة عقلية المتعلم على ترسيخ عادات الاعتماد على المعلومات.

2-نتيجة التغيرات الواضحة في المعايير الاجتماعية لأفراد المجتمع العراقي ظهرت العديد من القيم الجديدة ، وان هذا التغير الكثير في القيم الجمالية عندما تعرض المجتمع الى هزات وحروب وكوارث

وازمات متعددة وظروف زعزعت ايمان الفرد بالقيم التي كانت توجه سلوكه نحو الحق والخير وتجعله يشعر بالحاجة الى الجمال وتذوقه وابداعه .

3-ضرورة أن تصاغ فلسفة تربوية جمالية، تتناسب مع ما اختاره المجتمع من فلسفة اجتماعية، يكون فيها غاية في الفكر التربوي هو بناء الإنسان في إطار خبرات مجتمعه الجمالية، وتكون التربية الجمالية هدفاً ووسيلة يتحقق من خلالها أسلوب حياة جميلة على أسس تربوية مخططة.

4- ان المدرسة والمنزل قادران على شغل أوقات فراغ الافراد من خلال تنمية الحاسة الجمالية لديهم التي تدفعهم بدورها إلى زيارة الحدائق والمتاحف والمكتبات والنوادي الثقافية، وهذه كلها عناصر تساعد في شغل أوقات فراغهم، تلك الأوقات التي أصبحت عاملاً أساسياً في جرِ الافراد إلى المعاصي والجرائم والانحرافات السلوكية، وقد أظهرت كثير من الدراسات أن الأفعال الإنحرافية يرتكبها الافراد أثناء وقت الفراغ.

الهوامش

حياته - الفيلسوف جون ديوي: جون ديوي 1859 - 1952 هو مربي وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البراغماتية ويعتبر من أوائل المؤسسين لها ، وهو من أطال عمر هذه الفلسفة واستطاع ان يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما "العلم" و"الديمقراطية" ، ولد جون ديوي بمدينة برلنجتون في ولاية فيرمونت في الولايات المتحدة الأمريكية وقد تلقى تعليمه في جامعة فيرمونت ثم انتقل إلى جامعة جون هوبكنز فحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1884. وفي عام 1894 انتقل ديوي إلى جامعة شيكاغو التي كانت قد تأسست وقتئذ وعين فيها رئيسا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية فلسفته : نحو المجتمع كان ديوي يطمح لبناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية لوضع توازن فيه قيمة الفرد مع قيمة الجماعة والمجتمع. وبرأي ديوي ان النظام الصحيح هو الذي يحقق المرونة بعلاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه، وقد تجلت عبقرية جون ديوي في ربطه ربطاً واعياً بين التربية والمجتمع والحياة. لقد اكد ديوي على العلاقة الوثيقة بين التقدم العلمي والنظام الديمقراطي ولقد استفادت أمريكا من افكار جون ديوي في موضوع التربية وجذب العقول واستقطاب كل علماء الأرض، ويعتبر ديوي أن الفلسفة هي سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة واقتراح قيم جديدة تواكب التغيرات الحاصلة في الحياة. ومن مهمة الفلسفة أيضاً تفسير نتائج العلم الاختصاصي نحو التربية بالنسبة له، فإن الحياة تطورت وأصبح المجتمع الأمريكي مجتمع صناعي وبرأيه ان المدرسة يجب أن تكون مجتمع صغير تدب فيها الحياة. فكان يدعو ديوي إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف عند سن معين ، فالتربية هي من المهد إلى اللحد وليست جرعة تعطى مرة واحدة والى الابد بل هي بحاجة إلى الاستمرار لان العلم لديه دائماً شيء جديد يوافينا به ، ونظرته نحو التربية ترتكز على التعلم من خلال العمل والعمل اليدوي، حل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب وأن المدرسة هي مختبر وليست قاعة محاضرة. ويرفض ديوي نظرية جون لوك التي ترى بأن "الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من الكتابة". فالعلاقة الصحيحة، برأي ديوي، قائمة على التفاعل وهذا يعني ان طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي ، والفكر الحقيقي لديوي يبدأ من موقف اشكالي من عقدة أو عقبة تعترض مجرى التفكير فالطبيعة تتغير باستمرار وتغتني وتزداد ثراء وتغير الفكر معها وهكذا فان العملية مستمرة فلا حقائق مطلقة ولا المعرفة ثابتة فكل شيء يعتريه التغير

أهم كتب جون ديوي: كتاب (مفهوم ريفلكس قوس في علم النفس) في عام 1896. – كتاب (الديمقراطية والتعليم) في عام 1916.– كتاب (الطبيعة البشرية والسلوك) في عام 1922. – كتاب (دراسة لوظيفة العادة في السلوك البشري).– كتاب (الجمهور ومشاكله) في عام 1927. – كتاب (الخبرة والطبيعة) في عام 1925. – كتاب (الإيمان المشترك) في عام 1934. – كتاب (نظرية التحقيق) عام 1938. – كتاب (الحرية والثقافة) في عام 1939 . وقد نشر جون ديزن أكثر من 700 مقالة في 140 مجلة، كما نشر حوالي 40 كتاب [15].

المصادر العربية

1. محمد لبيب ، التربية وأصولها الفلسفية والنظرية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1984.
2. صابر جيدوري ، الخبرة الجمالية وابعادها التربوية في فلسفة جون ديوي ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 26،العدد 3، 2010.
3. ممدوح عبد المجيد شهبة ، القيم الجمالية والتعبيرية ، القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة ، ط1، ،2016.
4. هايدجر سارتر، ميرلوبونتي. دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية (الخبرة الجمالية) ترجمة سعيد توفيق ،المؤسسة الجامعية ،ط1، بيروت ، 1992.
5. علي كريم السيد ، سوسيولوجيا المجتمع العراقي بعد عام2003 ، دار الرافدين : القيم الاجتماعية العراقية وانعكاساتها على بناء الدولة - جريدة المدى على الموقع الالكتروني التالي : ... https://almadapaper.net
6. مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي ، عمان ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، 2012.
7. محمد علي أبو ريان فلسفة الجمال و نشأة الفنون الجميلة الإسكندرية ، دار المعارف الجامعية 1988.
8. احمد طعمة حلبي ،التجربة الجمالية المظاهر –المشكلات – الافاق –القيم ،مجلة التراث العلمي ، المجلد 2، العدد 45، 2020.
9. حامد سرمك ، فلسفة الفن والجمال " الابداع والمعرفة الجمالية" ، بيروت ، دار الهادي للنشر والتوزيع ، 2009.
10-هربرت ميد، معنى الفن ، ترجمة سامي خشبة ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط2، 1986.
11- زكريا إبراهيم " فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، القاهرة " دار مصر للطباعة و النشر ،1988.
12-محمد ابراهيم السيف ، المدخل الى دراسة المجتمع ، الرياض ، دار خريجي للنشر والتوزيع ، 1997.
13-اميرة حلمي مطر ،فلسفة الجمال اعلامها مذاهبها ،القاهرة ، الهيئة العربية العامة ،2002.
14-سهام العراقي، تاريخ وتطور اتجاهات الفكر التربوي، الإسكندرية، مكتبة المعارف الحديثة1984.
15-راوية عبد المنعم عباس ، القيم الجمالية دراسات في الفن والجمال ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ط1، 1987، ص 243
16-جون ديوي المدرسة والمجتمع ، ترجمة احمد حسن رحيم ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ،1980،ط3.
17-اسماعيل الملحم ، التجربة الابداعية دراسة في سيكولوجية الاتصال والابداع ، دمشق ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ، 2003.
18-احمد يونس محمود ،القيم الجمالية لدى معهد طلاب الفنون الجميلة ، مجلة جامعة كركوك ، المجلد 7، العدد 3 ، مؤتمر كلية التربية للبنات ، 2012.
19-حامد زهران ،علم النفس الاجتماعي ،القاهرة ،عالم الكتب ، ط4، 2003.
20-جبار محمود العبيدي ،القيمة والمعيار الجمالي في تشكيل المعاصر ،بغداد ،دار ضفاف ، ط1 ، 2013.
21-شاكر الانباري ، دولة على مفترق : تأملات في اوضاع العراق بعد عام 2003-2006 ، بغداد ، دار اراس للنشر والتوزيع ، 2011.
22- جون ديوي ، الفن خبرة ، ترجمة زكريا إبراهيم ، تقديم زكي نجيب محمود ، القاهرة ، دار النهضة الأنجلو مصرية ، 1987.
23- شيلر فريدريش ، التربية الجمالية للإنسان ، ترجمة وفاء محمد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1991.
24-عدلي السمري ، ومحمد الجواهري واخرون ، علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع ، 1998.